المبحث الأول
صفات وزير الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي

أولاً: صفات وزير الخليفة العباسي:

كان خلفاء بني العباس حريصين أشد الحرص على الالتزام ببعض الصفات في اختيارهم لوزرائهم فالشخص الراغب للوصول إلى منصب الوزارة كان لا بد من أن تتوفر فيه بعض الصفات منها، الصدق والأمانة وغزارة العلم [1].

1- العلم: فالوزير فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن جهير الذي ولى الوزارة للخليفة العباسي القائم بأمر الله كان من رجال العلم رئيساً جليلاً [2]. وعرف عن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الروذراوري وزير الخليفة المقتدي بأمر الله بغزارة علمه وثقافته، وقد عد من خيرة علماء عصره، فكان عالماً باللغة العربية، وله تصانيف منها ذيل تجارب الأمم [3].

2- الرأي السديد: ويشترط في الوزير أن يتصف بالرأي السديد [4]، فالوزير أبو القاسم بن الحسن بن أحمد المسلمة رئيس الرؤساء عرف بسداد الرأي ورجاحة العقل [5]. وأما الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي الذي وزر للخليفة المسترشد بالله والمقتفي لأمر الله، فقد عرف عنه سداد الرأي.

3- العدل: ومن الصفات الواجب توافرها في الوزير هي العدل؛ ليكون منصفاً في حكمه وتسلم الرعية من ظلم غيره وظلمه [6]. فالوزير أبا شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الروذراورى عرف بعدله للرعية فكان يصلي الظهر ويجلس لكشف المظالم إلى وقت العصر[7]، وعرف الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الشيباني، الذي وزر للخليفة المقتضي لأمر الله والمستنجد بالله بالعدل لذا نال مكانة مرموقة [8]ويقال عنه بأنه: كان شامة بين الوزراء لعدله [9].

4- الكفاية: فضلاً عن ذلك يجب أن تتوفر بالوزارة الكفاية: وهي العلم بالأعمال السلطانية، والتصرفات، ووجوه تثمير الأموال والاستخراجات فيضع الأمور في موضعها، ويرتب الأعمال على قواعدها [10]، فقد كان الوزير رئيس الرؤساء أبو القاسم على بن الحسين بن المسلمة يمتاز بالفضل والكفاية [11]، وقد قضى الوزير عميد الدولة ابن جهير على الفوضى والاضطرابات وأدى

(1) الأحكام السلطانية ص 22 الوزارة العباسية ص 34.
(2) شذرات الذهب (301/3).
(3) المنتظم (90/9 - 91).
(4) الأحكام السلطانية ص 22 الوزارة العباسية ص 36.
(5) النجوم الزاهرة (64/5).
(6) الوزارة العباسية ص 36.
(7) تحفة الأمراء للثعالبي ص 61.
(8) الوزارة العباسية ص 36.
(9) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص 157.
(10) شذرات الذهب (191/4).
(11) راحة الصدور ص 172 الوزارة العباسية ص 37.

مهامه الإدارية بنجاح [1]، وكان الوزير أبو علي بن الحسن بن علي بن صدقة، لـه دراية وخبرة بأمور الحساب وأعمال السواد [2]؛ لذا نجح في إدارة أمور البلاد [3].

5- السياسة: ويشترط بعض الفقهاء أن يكون عالماً بأمور السياسة؛ فيعرض مداراة الجند، وتأليفهم، وجمعهم، وتفريقهم ويكون خبيراً بالمكائد الحربية، والخدع، وحفظ البلاد، والثغور والقلاع[4]، فالوزير رئيس الوزارة أبي القاسم علي بن الحسين بن المسلمة عرف عنه حسن معرفته وتدبيره لأمور السياسة [5] ففي سنة 544هـ ولي أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة المقتفي لأمر الله [6]، فظهرت منه عظمة كفايته السياسية عندما نزل المعسكر السلجوقي بظاهر بغداد، فاستطاع - بحسن تدبيره - من ردهم على أعقابهم، فرغب الخليفة فيه، فاستوزره [7].

6- الشؤون الدينية: ومن الشروط الواجب توفرها في الوزير هي معرفته للشؤون الدينية والفقه والحديث النبوي وما إلى ذلك من أمور تتعلق بالشريعة الإسلامية، وعلى هذا الأساس نال رئيس الرؤساء علي بن الحسين الوزارة وكان عالماً وفقيهاً بارعاً ولـه دراية بالحديث [8]، وكان الوزير أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست وزير الخليفة القائم بأمر الله، إذا جلس في دار الوزارة حضر أئمة الفرق وفقهاؤها للمناظرات [9]. وكان الوزير جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة وزير الخليفة المسترشد بالله، حسن السيرة والسلوك، تقياً عالماً فاضلاً [10]، وكان الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الشيباني الذي وزر للخليفة المقتفي لأمر الله من أعيان الفقهاء الصالحين [11]، صنف كتاب الإفصاح وقد قرأ القرآن، والحديث، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، صنف كتباً جيدة من ذلك الإفصاح في مجلدات، شرح فيه الحديث وتكلم فيه عن مذاهب العلماء [12]. وكان عالماً في الفقه والأحاديث والقرآن الكريم وتفسيره.

7- قوانين الوزارة: واشترط الخلفاء العباسيون وسلاطين السلاجقة في الوزير أن يكون عالماً بقوانين الوزارة، فقد كان الوزير جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة وزير الخليفة المسترشد بالله حافظاً لقوانين الوزارة وعالماً بأمور الرياسة [13]. وأما الوزير أبو القاسم علي بن طراد الزينبي، فكان ملمًّا بقوانين الوزارة عارفاً بأمور السياسة، فلما استوزره الخليفة المسترشد بالله

(1) البداية والنهاية نقلاً عن الوزارة العباسية ص 37.
(2) الوزارة العباسية ص 37.
(3) المصدر نفسه ص 37.
(4) تحفة الأمراء للثعالبي ص 61 - 62.
(5) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 188.
(6) الوزارة العباسية ص 38.
(7) دولة آل سلجوق ص 205، الوزارة العباسية ص 38.
(8) الوزارة العباسية ص 38.
(9) دولة آل سلجوق ص 197.
(10) النجوم الزاهدة (233/5) الوزارة العباسية ص 38.
(11) المنتظم (217/10).
(12) البداية والنهاية نقلاً عن الوزارة العباسية ص 39.
(13) الوزارة العباسية ص 39.

قال لـه: كل من ردت إليه الوزارة شرف بها، إلا أنت فإن الوزارة شرفت بك [1].

8- البلاغة وحسن الترسل: وفضل الخلفاء أن تتوفر بعض الصفات الأخرى كأن يكون بليغاً وحسن الترسل وأديباً وشاعراً وعالماً في النحو [2]، فالوزير محمد بن محمد بن جهير الذي وزر للخليفة القائم بأمر الله والمقتدي بأمر الله، عرف بتراسله البديع وأشعاره الرقيقة [3]، وكان الوزير أبو شجاع محمد ابن الحسين الروذراوري كاتباً بليغاً وشاعراً مرهفاً وعرف عنه حسن نثره وروعة رسائله ومعرفته بالأدب وبراعته في رواية الأخبار [4]، وعرف عن الوزير جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة فصاحة اللسان وبلاغة الكلام، بحيث طغت على كتاباته صفة البلاغة مما جعله موضع إعجاب خلفاء بني العباس[5]، وأما الوزير أبو شروان بن خالد القاشاني الذي وزر للخليفة المسترشد بالله وللسلطان مسعود السلجوقي، فعرف عنه حبه للأدب، وإليه يعود الفضل في عمل وتطوير مقامات الحريري [6]، وكان الوزير يحيى بن هبيرة فصيح اللسان، بليغاً، كاتباً بارعاً وعالماً بأمور النحو واللغة وشاعراً رقيقاً [7].

9- المحبة لدى العامة والخاصة: فضلَّ الخلفاء في الوزير أن يكون محبوباً لدى العامة والخاصة من الناس، وهذا واضح عندما عاد الوزير فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير إلى منصب الوزارة في عهد الخليفة المقتدي بأمر الله، فرح الناس فرحاً شديداً وخرجوا لاستقباله، وقاموا بنحر الذبائح [8].

وأما الوزير الحسن بن علي بن صدقة أبو علي جلال الدين وزير الخليفة المسترشد بالله، فقد كان محبوباً لدى الخاصة والعامة مما ساعده على أداء مهماته الإدارية بنجاح [9].

10- المعرفة بقواعد ديوان الخلافة: من الصفات اللازم توافرها في الوزير هي إلمامه بقواعد ديوان الخلافة ونتيجة هذا الشرط عزل خلفاء بني العباس بعض الوزراء لجهلهم بقواعد ديوان الخلافة؛ فقد قبض الخليفة المسترشد بالله على الوزير سديد الملك أبي المعالي بن عبد الرزاق في سنة 496هـ بسبب جهله بقواعد ديوان الخلافة [10].

وتجد الإشارة إلى أن الماوردي حدد الصفات الواجب توفرها في الوزير وهي.

الصدق، والأمانة، وغزارة العلم، والفضل، والرأي السديد، والكفاية في تصريف الأعمال

(1) المنتظم (234/9) الوزارة العباسية ص 39.
(2) الوزارة العباسية ص 39.
(3) النجوم الزاهرة (130/5) الوزارة العباسية ص 40.
(4) المنتظم (90/9، 91) الوزارة العباسية ص 40.
(5) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 201 الوزارة العباسية ص 40.
(6) تاريخ ابن الورد (29/2) الوزارة العباسية ص 40.
(7) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 225 الوزارة العباسية ص 41.
(8) الوزارة العباسية ص 41.
(9) ذيل تاريخ دمشق ص 224.
(10) الوزارة العباسية ص 42.

والأموال، وحسن التصرف في مخاطبة الأعداء والأصدقاء [1].

وأما الثعالبي فقد حدد الصفات الواجب توافرها في الوزير بقوله: أن تجتمع فيه الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة، والآراء السديدة، وجودة التدبير، وصواب الآراء المفيدة، فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة، إذا كان زمان السلم والهدنة يصلح أن يكون الوزير حليما ساكناً، وإذا كان زمان الفتن والحروب يصلح أن يكون شجاعاً صارماً [2]. ومن الوزراء الذين جمعوا بين الثقافة العامة وحسن إدارته للبلاد يحيى بن هبيرة وزير الخليفة المقتفي لأمر الله والمستنجد بالله، حيث جمع معلومات وافية عن الدولة العباسية، وله دراية في معرفة مشاكلها، مما أصبحت له القابلية على حل مشاكل الخلافة العباسية، بما فيها تخلص الدولة العباسية من سيطرة السلاجقة [3].

ثانياً: صفات الوزير السلجوقي:

حدد سلاطين السلاجقة بعض الصفات الواجب توافرها في الوزير ومن هذه الصفات:

1- محبة العلم والعلماء: أن يكون محباً للعلم والعلماء، وفاضلاً، وكريماً، فقد عرف عن الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن إسحاق الطوسي حبه للعلم والعلماء وهذا واضح من خلال إنشائه العديد من المدارس [4].

2- سداد الرأي: ويجب أن تتوفر في الوزير صفة سداد الرأي، فالوزير عميد الملك أبو نصر محمد ابن منصور الكندري، وزير السلطان طغرل بك عرف بسداد الرأي ووفور العقل [5].

3- العدل: أن يكون الوزير عادلاً بعيداً عن ظلم الرعية؛ فالوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن إسحاق الطوسي كان رجلاً عادلاً منصفاً، حافظاً، لرعيته، فيقال عنه: إذا اجتاز بضيعة فأفسدها العسكر غرم لصاحبها فيه ما أفسدوا [6]، وفي سنة 533هـ نال الوزير كمال الدين محمد بن علي الخازن الرازي وزارة السلطان مسعود، فأخذ يعمل على نشر العدل وإزالة الظلم [7].

4- الصلاح والفقه: يجب أن يكون الوزير صالحاً فقيهاً وسمع الحديث وقرأ القرآن وشجع علماء الدين، فالوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن إسحاق الطوسي، اشتغل بالحديث والفقة، وكان يحب علماء الدين والفقهاء ويجزل صلاتهم، وينفق عليهم أموالاً[8]، كما سمع الحديث وتفقه على مذهب الشافعية وقرأ القرآن واشتغل بالعلم [9].

5- إجادة اللغتين العربية والفارسية: فيجب أن يكون الوزير أديباً بليغاً وكاتباً ناجحاً وشاعراً يجيد

(1) الأحكام السلطانية ص 22 الوزارة العباسية ص 42.
(2) تحفة الأمراء ص 61 الوزارة العباسية ص 43.
(3) خلفاء بني العباس ووزراءهم ص 128الوزارة العباسية ص 43.
(4) التاريخ الباهر ص 9.
(5) شذرات الذهب (301/3).
(6) ذيل تاريخ دمشق ص 16 الوزارة العباسية ص 45.
(7) دولة آل سلجوق ص 170، أخبار الدولة السلجوقية ص 122.
(8) ذيل تاريخ دمشق ص 16 الوزارة العباسية ص 45.
(9) الوزارة العباسية ص 45.

اللغتين العربية والفارسية بفصاحة؛ فالوزير محمد بن منصور عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك كان مترجماً بارعاً [1]، وكاتباً يجمع في العربية والفارسية بين الفصاحتين [2]. وكان أديباً وشاعراً ناجحاً ومن شعره:

إذا كان بالناس مزاحمتي ::: فالموت قد وسع الدنيا على الناس
قضيت والشامت المغرور يتبعني ::: إن المنية كأس كلنا حاسي [3]

6- الكفاية: لا بد أن تتوفر في الوزير صفة الكفاية، فالوزير سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد الآبيّ الذي استوزر للسلطان محمد بن ملكشاه، عرف بسداد الرأي ووفور العقل والكفاية العالية، فقد استطاع هذا الوزير من جمع العساكر على الطاعة السلطانية، وبذلك استطاع أن يزيل الخلافات والفتن في دولة السلاجقة [4].

7- تدبير البلاد والجيوش: ويجب أن يمتاز الوزير بحسن تدبيره للبلاد والجيوش، فقد كان الوزير نظام الملك أبي علي الحسن الطوسي عارفاً بأمور البلاد، وناجحاً في تدبيرها [5]. وكان يهتم بأمور الجيش وتفريقهم وبحفظ البلاد، فلما عاد ملكشاه من محاربة عمه قاورد تطاول جند السلطان قائلين: إنا قد ظفرنا بهذا الفتح وهزمنا جيشاً جراراً فنريد زيادة أرزاقنا وإذا لم يزدد أرزاقنا وقطائعنا فسوف ندعو بالسعادة إلى قاورد إلا أن الوزير نظام الملك أبا علي الطوسي استطاع أن يخمد غضب الجند ويجددوا ولاء الطاعة للسلطان [6].

8- الشهامة والصبر: فهناك بعض الصفات التي لا بد أن تتوفر في الوزير السلجوقي مثل الشهامة والصبر، فقد عرف الوزير عميد الملك أبو نصر محمد بن منصور الكندري بشهامته وكرمه [7]. وأبو علي الحسن الطوسي فقد عرف عنه ثباته وصبره وخاصة في الأزمات التي مرت بها الدولة السلجوقية والأزمات التي مرّ بها الوزير شخصياً، فكان شهماً [8]، وكان الوزير نظام الملك محبوباً لدى الناس، وكان شديد الاحترام والنفوذ في مملكة السلطان ملكشاه [9].

ومن الجدير بالذكر أن سلاطين السلاجقة كانوا حريصين في اختيار وزرائهم وحددّوا بعض الصفات التي تتوافر في الوزير؛ لأن أغلب سلاطين السلاجقة كانوا جاهلين بالعلوم والمعارف واللغة والفقه وبطبيعة المؤسسات الإدارية وفي كيفية إدارة أمور البلاد، فأوكلوا هذه المهام لوزرائهم لتمشية المهام السياسية والإدارية والمالية، بينما بقيت أمور الجيش والحرب بأيدي السلاطين؛ لأنهم بطبيعتهم هم رجال حرب [10]، وعلى الرغم من ذلك فإن سلاطين السلاجقة قاموا باختيار بعض

(1) دولة آل سلجوق ص 31، العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 573، 574.
(2) دولة آل سلجوق ص 31، الوزارة العباسية ص 45.
(3) النجوم الزاهرة (76/5).
(4) دولة آل سلجوق ص 88.
(5) الوزارة العباسية ص 46.
(6) راحة الصدور ص 200.
(7) شذرات الذهب (301/3) الوزارة العباسية ص 47.
(8) شذرات الذهب (301/3) الوزارة العباسية ص 47.
(9) المنتظم (207/8) الوزارة العباسية ص 47.
(10) الوزارة العباسية ص 48.

الوزراء الذين لم تتوفر فيها صفات الوزير الجيد، وإنما كان اختيارهم بدافع حصول السلاطين على الأموال، وبحكم الظروف العصيبة والصراع الذي دار بين الأسرة السلجوقية حول كرسي السلطنة[1].

* * *

(1) المصدر نفسه ص 48.